

50 - السيدة ماوية مولاة حُجَيْر



مراقبة الأسير المؤمن:

اسمها ماوية، كانت مولاةً لحُجَيْر بن أبي إهاب التميمي وكان حُيَيْبُ ابْنُ عَدِيٍّ أَخُو بَنِي جَحْجَبِيٍّ قَدْ حُبِسَ فِي بَيْتِهَا رِيثَمَا تَنْتَهِي الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ فَيُخْرَجُونَ بِهِ فَيَقْتُلُونَهُ .

وكان حُيَيْبٌ يَتَهَجَّدُ فِي اللَّيْلِ ، وَيَتْلُو آيَاتٍ مِنْ كِتَابِ اللَّهِ يَقْطَعُ بِهَا الْأَيَّامَ تَنْسَلِخُ الْأَشْهُرَ الْحُرْمَ ، فَتُزْهِقُ رُوحَهُ ، وَكَانَتْ النِّسَاءُ إِذَا سَمِعْنَهُ رَقَقْنَ لَهُ ، وَبَكَيْنَ ، وَسَأَلْتَهُ مَاوِيَةَ مَرَّةً : أَلَيْكَ حَاجَةٌ يَا حُيَيْبُ؟ .

قال : هُنَّ ثَلَاثُ ، لَا أَبْتَغِي سِوَاهُنَّ ؛ أَنْ تَسْقِيَنِي الْعَذْبَ ، وَأَلَّا تَطْعَمِيَنِي مَا ذُبِحَ عَلَى النَّصَبِ ، وَأَنْ تُخْبِرِيَنِي مَتَى أُرَادُوا قَتْلِي ، فَوَعَدْتَهُ بِذَلِكَ .

ولما انصرمت الأشهر الحرم وعزموا أمرهم على قتله أتت ماوية فأخبرته ، فما أبهَ لذلك ، ثم استعارَ منها حين اجتمعوا موسى يستحذُ بها ، فَأَعَارَتْهُ ، فَأَخَذَ ابْنًا لَهَا ، وَهِيَ غَافِلَةٌ حِينَ أَتَاهُ .

تقول ماوية : بعد أن أعطيته موسى لابني ودخل بها عليه ، قلت لنفسي : أي شيء صنعت؟ الآن يقتله بها ، ويكون قد أدرك ثأره ، فلما أعطاه إياه قال له : أما إنك لجريء!! أما خشيت أمك غدري وقد بعثت بالموسى معك ، وأنتم تريدون قتلي؟! .

قَالَتْ : فَوَجَدْتُهُ مُجْلِسَهُ عَلَى فَخْذِهِ وَالْمُوسَى بِيَدِهِ ، فَفَزَعْتُ فَرَزَعَةً عَرَفَهَا حُيَيْبٌ فِي وَجْهِهِ ، فَقُلْتُ : يَا حُيَيْبُ إِنَّمَا اتَّمَمْتَكِ بِأَمَانِ اللَّهِ ، وَلَمْ أُعْطِكِهَا لِتَقْتُلِي بِهَا ابْنِي فَقَالَ : تَخْشِينَ أَنْ أُقْتَلَ؟ مَا كُنْتُ لِأَفْعَلَ ذَلِكَ ! وَمَا نَسْتَجِلُّ فِي دِينِنَا الْعَدْرَ ، فَقَالَتْ لَهُ : سَيَقْتُلُونَكِ الْغَدَاةَ .

ثُمَّ إِنَّهُمْ جَاؤُوا فَأَخَذُوهُ إِلَى التَّنْعِيمِ، فَلَمَّا خَرَجُوا مِنَ الْحَرَمِ لِيَقْتُلُوهُ فِي الْجِلِّ، قَالَ لَهُمْ حُيَيْبٌ: ذَرُونِي أَرْكَعَ رَكَعَتَيْنِ، فَتَرَكُوهُ فَرَكَعَ رَكَعَتَيْنِ، ثُمَّ قَالَ: لَوْلَا أَنْ تَطَّنُوا أَنَّ مَا بِي جَزَعٌ لَطَوَّلْتُهَا، اللَّهُمَّ أَحْصِهِمْ عَدَدًا، وَاقْتُلْهُمْ بَدَدًا، وَلَا تَذَرِ مِنْهُمْ أَحَدًا، ثُمَّ أَنْشَدَ:

وَلَسْتُ أَبَالِي حِينَ أُقْتَلُ مُسْلِمًا عَلَى أَيِّ شِقِّ كَانَ فِي اللَّهِ مَضْرَعِي
وَذَلِكَ فِي ذَاتِ الْإِلَهِ وَإِنْ يَشَاءُ يُبَارِكْ عَلَى أَوْصَالِ شِلْوٍ مُمَزَّعٍ

ثُمَّ قَامَ إِلَيْهِ أَحَدُ أَبْنَاءِ الْحَارِثِ بْنِ عَامِرٍ، الَّذِي كَانَ حُيَيْبٌ قَدْ قَتَلَهُ فِي بَدْرِ فَقَتَلَهُ فَكَانَ حُيَيْبٌ هُوَ سَنَ الرَّكَعَتَيْنِ لِكُلِّ امْرِئٍ مُسْلِمٍ قُتِلَ صَبْرًا⁽¹⁾.

وبعث رسول الله ﷺ من يحلُّ وثاق حبيب فلما رقي الخشبة وفكَّ الحبل سقطت جثته حبيب على الأرض، فلما نزل لم ير لخبيب أثراً، وكان الأرض ابتلعها.

إسلامها:

وكان الرجال والنساء والأطفال قد خرجوا ليشهدوا قتل حبيب، وقد أثار المشهد في ماوية، فدخلت في دينه، ثُمَّ قَالَتْ: وَاللَّهِ، مَا رَأَيْتُ أُسِيرًا قَطُّ خَيْرًا مِنْ حُيَيْبٍ، وَاللَّهِ، لَقَدْ وَجَدْتُهُ يَوْمًا يَأْكُلُ مِنْ قِطْفِ عِنَبٍ فِي يَدِهِ وَإِنَّهُ لَمُوثِقٌ فِي الْحَدِيدِ وَمَا بِمَكَّةَ مِنْ نَمْرٍ وَكَانَتْ تَقُولُ: إِنَّهُ لَرِزْقٌ مِنَ اللَّهِ رَزَقَهُ حُيَيْبًا⁽²⁾.

رحم الله حبيباً، وماوية، وأنزلهما منزل الأبرار.



(1) رواه: البخاري/كتاب: الجهاد والسير/باب: هل يستأسر الرجل؟ ومن لم يستأسر، ومن ركع ركعتين/برقم: (2818).